

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف اضطرابات الإراحة (14)

هل يتطور (ينمو) إنسان فرد باختباره؟

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD30315.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/03/30

السنة الثامنة - العدد: 2768



أشعر أن الأمر يحتاج في هذه اللحظة إلى إضافة محدودة من المبادئ الأساسية للنظرية التطورية الإيقاعية (11) على الوجه التالي:

- (1) الإنسان (مثل كل ما في الحياة) في حالة نبض حيوي إيقاعي مستمر.
- (2) هذا النبض هو طبيعة الحياة كما أنه من طبيعة الكون كله (12).
- (3) هذا النبض لا يتوقف أبداً لا في الصحو ولا في النوم ولا في الحلم، كما أنه في تواصل منتظم دائم مع نبض حلقات الوجود المضطربة الاتساع إلى ما بعد ما نعرف.
- (4) مصطلح "نبض" هو أعم بكثير من نبض القلب (مع أن قوانين نبض القلب كان لها الفضل في تنوير لفهم نبض المخ في كثير من التشكيلات) وهو مرتبط أكثر بحركية مستويات الوعي كل على حدة، ثم كلها معاً.

(5) بما أن الوعي مازال (وسوف يظل غالباً) شديد الغموض فإن طبيعة النبض وقوانينه سوف تظل بعيدة عن المتناول بشكل أو بآخر، وعلينا أن نستنتج ما نستطيع من نتائج هذه الحركية من واقع الفروض التي يمكن أن تفسرها مؤقتاً مع السماح بتطويرها أو إحلال غيرها محلها، مع استمرار الممارسة والاختبار والمراجعة.

(6) ارتبطت ممارستي لمهنتي بمتابعة كفاءة هذا النبض طول الوقت، وذلك خلال نصف قرن إلا بضع سنوات، حيث لم تتضح لي بشكل منظم إلا مع كتابة كتابي "دراسة في علم السيكوباتولوجي" سنة 1978، لكن ظهرت بعض معالم التطور قبل ذلك (دون إشارة محددة إلى الإيقاع الحيوي) وذلك سنة 1968 حيث ظهرت كملحق في كتابي "حيرة طبيب نفسي" ثم تم تحديثها، وإضافة ما يلزم لتتألف مع ما وصلني عن الإيقاع الحيوي وما تفرع من فروض من خلال ذلك! (13).

(7) تطورت علاقتي بالإيقاع في أطروحتي الأساسية عن "الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع" والتي كانت في سياق النقد الأدبي أساساً، ونشرت في مجلة فصول (للنقد الأدبي) (14)، ومن بين الفروض الذي تضمنتها هذه الأطروحة فرض يقول: "أننا نبدع أحلامنا التي نحكيها (تأليفاً) في بضع ثواني أثناء الاستيقاظ، كما أن هذه الأطروحة هدنتي منذ ذلك الحين إلى الانتباه إلى أهمية الوحدات الزمنية المتناهية الصغر.

(8) سبق أن شرحت الخطوط العريضة لمجمل النظرية التطورية الإيقاعية في نشرة قريبة (بتاريخ 1-3-2015) وأنصح بالرجوع إليها من خلال هذا الرابط لسلامة المتابعة.

الإنسان (مثل كل ما في الحياة) هي حالة نبض حيوي إيقاعي مستمر. هذا النبض هو طبيعة الحياة كما أنه من طبيعة الكون كله

هذا النبض لا يتوقف أبداً لا في الصحو ولا في النوم ولا في الحلم، كما أنه في تواصل منتظم دائم مع نبض حلقات الوجود المضطربة الاتساع إلى ما بعد ما نعرفه

بما أن الوعي مازال (وسوف يظل غالباً) شديد الغموض فإن طبيعة النبض وقوانينه سوف تظل بعيدة عن المتناول بشكل أو بآخر، وعلينا أن نستنتج ما نستطيع من نتائج هذه الحركية من واقع الفروض التي يمكن أن تفسرها مؤقتاً مع السماح بتطويرها أو إحلال غيرها محلها، مع استمرار الممارسة والاختبار والمراجعة

أننا نبدع أحلامنا التي نحكيها (تأليفاً) في بضع ثواني أثناء الاستيقاظ، كما أن هذه الأطروحة هدنتي منذ ذلك الحين إلى الانتباه إلى أهمية

ما دام الأمر كذلك، فما هي العوامل التي تعيق هذا النبض البشرى الإيقاعى التطورى أن يواصل عطاءه وجدليته لكل البشر طول الوقت، وما هي نتائج إعاقته أو انحرافه؟ للإجابة على هذا السؤال على أن أطرح نظريتي كاملة، الأمر الذى أعتقد أن أوانه لم يحن بعد، أما بالنسبة للإرادة وعلاقتها بهذا النبض الذى ينظم طاقة الحياة تنظيمًا إيقاعيًا ثم خلًا فسوف أكتفى بالإشارة إلى بعض "اضطرابات الشخصية" التى اعتبرت كل تصنيفاتها الامراضية ليست سوى إعاقة لفاعلية هذا النبض، أو إجهاض له، أو انحراف به، وذلك فى عملى الأم [15] أعنى بذلك إعاقة فاعلية الإيقاع الحيوى فى مواصلة دوره، فى دفع جدلية الإبداع لإعادة تخليق الذات باستمرار، الأمر الذى يتماشى مع المفهوم الأحدث فى العلم المعرفى العصبى تحت منظومة أن "المخ يعيد بناس نفسه" [16].

فروض تمهيدية:

وفيما يلى بعض الفروض الأساسية تمهيدا للإشارة إلى توقف النبض وإعاقة إرادة الحياة السليمة ضمنا بما يتجلى من سمات (وليست أعراض) ما يسمى "اضطراب الشخصية".
أولاً: إن المخ البشرى حسب آخر نظريات العلم المعرفى العصبى - هو "مفاعل للطاقة والمعلومات" [17].
ثانياً: إن الإيقاع الحيوى للمخ هو الذى ينظم هذه الطاقة لتخدم تنظيم وفعله (معالجة/اعتماد) المعلومات باستمرار.

ثالثاً: إن هذا التنظيم يتواصل طالما أن الطاقة تتحرر المعلومات إلى غايتها المعلنة وغير المعلنة، كما أن الذى يجعل لهذه الطاقة مساراً طبيعياً هو أن تتوجه إلى كل من: تنظيم العلاقة بالموضوع (الأخر) وكذلك تنظيم (معالجة) المعلومات إذ تحمل قسديّة التوجه إلى فعل ذى معنى وناتج ما، دون حتمية أن يصل أى من هذا إلى بؤرة الوعى الظاهر أو يحتاج إلى "اتخاذ قرار" معلى.

رابعاً: إن الخلل أو التشتت أو الانعكاس فى مسار هذه الطاقة وما يترتب عليه من خلل فى عمل المخ كمفاعل للطاقة والمعلومات تنتج عنه الأعراض والأمراض النفسية والعقلية المختلفة مما لا مجال لذكره هنا الآن.

خامساً: إن إعاقة أو إجهاض أو إغلاق نبض الإيقاع الحيوى فى دوائر مكررة هو التفسير الإراضى لمظاهر اضطرابات الشخصية بالذات، وهى التى لا تظهر فى شكل أعراض محددة وإنما فى صورة سمات للشخصية بعيدة عن السواء وإن لم تتجلى فى صورة أعراض محددة.

سادساً: إنه إذا توقف النمو هكذا فى صورة جمود اضطرابات الشخصية، أو انحرافها وتفريغ نبض إيقاع النمو أو بالأول فإنه لا يعاود استمراره إلا إذا كسر هذا التصلب المانع لفاعلية النبض الحيوى، ولا تكسره إلا فرصة إبداع جديدة فى أزمة نمو إيجابية ليستعيد النبض مساره، أو قد يحدث ما يقابل ذلك من خلال خبرة ذهانية (صغرت أم كبرت) لو أحسن استيعابها لإعادة التشكيل وحيل دون التمدى فى التفسخ والإعاقة.

ما هي العوامل التي تعيق هذا النبض البشرى الإيقاعى التطورى أن يواصل عطاءه وجدليته لكل البشر طول الوقت، وما هي نتائج إعاقته أو انحرافه؟

أكتفى بالإشارة إلى بعض "اضطرابات الشخصية" التى اعتبرت كل تصنيفاتها الامراضية ليست سوى إعاقة لفاعلية هذا النبض، أو إجهاض له، أو انحراف به

أعنى بذلك إعاقة فاعلية الإيقاع الحيوى فى مواصلة دوره، فى دفع جدلية الإبداع لإعادة تخليق الذات باستمرار

إن المخ البشرى حسب آخر نظرياته العلم المعرفى العصبى - هو "مفاعل للطاقة والمعلومات

إن الإيقاع الحيوى للمخ هو الذى ينظم هذه الطاقة لتخدم تنظيم وفعله (معالجة/اعتماد) المعلومات باستمرار

إن هذا التنظيم يتواصل طالما أن الطاقة تتحرر المعلومات إلى غايتها المعلنة وغير المعلنة

أن الذى يجعل لهذه الطاقة مساراً طبيعياً هو أن تتوجه إلى كل من: تنظيم العلاقة بالموضوع (الأخر) وكذلك تنظيم (معالجة)

المعلومات إذ تحمل قَصْدِيَّة التوجه إلى فعل ذي معنى وناتج ما، دون حتمية أن يصل أى من هذا إلى بؤرة الوعي الظاهر أو يحتاج إلى "اتخاذ قرار" معلن

إن إجماعاً أو إجماض أو إلتحاق نبض الإيقاع الحيوى فى دوائرية مكررة هو التفسير الإمراضى لمظاهر اضطرابات الشخصية بالذات

إنه إذا توقف النمو هكذا فى صورة جمود اضطرابات الشخصية، أو انحرافها وتفرغ نبض إيقاع النمو أولاً بأول فإنه لا يعاود استمراره إلا إذا كسر هذا التصلب المانع لفاعلية النبض الحيوى، ولا تكسره إلا فرصة إبداع جديدة فى أزمة نمو إيجابية ليستعيد النبض مساره

أن الإرادة ليست قاصرة على هذا السلوك الجزئى المتعلق بـ: "اتخاذ قرار، ثم القيام بتنفيذه"، وإنما هى فى صورتها الأعمق مرتبطة بالقدرة على كسر "النص الحياتى الدائرى المغلق"، وبالتالي إطلاق قدرة النمو بالتغير الكيفى خلال مسيرة الحياة

لن يتطور إنسان باختياره، ولن يكمل الطريق إلا باختياره، فأسرع إلى حيث تختار ما قررت

وصلنى أن الإنسان لا يختار الظروف الطبيعية- يجد بنفسه،

موقع الإرادة من جديد:

بصفة عامة نعود للتنبه على أن الإرادة ليست قاصرة على هذا السلوك الجزئى المتعلق بـ: "اتخاذ قرار، ثم القيام بتنفيذه"، وإنما هى فى صورتها الأعمق مرتبطة بالقدرة على كسر "النص الحياتى الدائرى المغلق"، وبالتالي إطلاق قدرة النمو بالتغير الكيفى خلال مسيرة الحياة، وهذا النوع من النظرة الشمولية للإرادة - كما ذكرنا- يتخطى الوقوف عند الإرادة الجزئية الواعية ليشمل تراكمات الأفعال الإيجابية القادرة على البزوغ فى الوقت المناسب لإطلاق دوائر النمو ونشاطات الإبداع، أو على النقيض من ذلك إذا كانت التراكمات سلبية، فإنها تؤدي إلى مظاهر السلبية التى تظهر بعضها فى تشكلات مرضية أخرى (تسمى أعراضاً أو أمراضاً نفسية أحياناً!!).

هل يتطور (ينمو) إنسان فرد باختياره؟

فى عمل سابق، غير متخصص ([8]) وبرغم ذلك فهو شديد القرب منى، وجدت نفسى قد كتبت ما يلى: "لن يتطور إنسان باختياره، ولن يكمل الطريق إلا باختياره، فأسرع إلى حيث تختار ما

قررت"، ويبدو أن ذلك كان إشارة إلى ما وصلنى من الممارسة، خصوصاً فى مجال العلاج الجمعى، والعلاج المكثف للفصاميين خاصة، وصلنى أن الإنسان لا يختار أن يتطور، بل هو - فى الظروف الطبيعية- يجد بنفسه، أو يضع نفسه، ضمن منظومة حياة متحركة يعرف ولو ضمناً أنها يمكن أن تضطره، مع استمرار نبض الإيقاع الحيوى بلا توقف ليل نهار، نوما وحلما ويقظة، تضطره أن يدخل إلى مأزق التغير الذى هو فرصة التحول إلى طور أحسن، اللهم إلا إذا تعثرت الخطى، وأجهضت نبضة النمو.

من هذا المنطلق فإن اضطراب الشخصية لا يمكن إرجاعه إلى عجز أو قصور فى استعمال الإرادة فى دفع نبض النمو والحفاظ على اضطرابه، وإنما هو إشارة لما سبق أن شرحناه حتى الآن فى أكثر من موقع إلى أن الانتباه إلى صفرية ناتج النبض بما فى ذلك محو ناتج حركية الحلم، هو علامة على خلل فى حركية النمو عامة، وضمناً فى إرادة الحياة، وعادة لا تتاح الفرصة لاستعادة تنشيط الإرادة فى الاتجاه

البنائى إلا بعد مأزق مفترقى سواء كان بداية جنون أو إرهابات إبداع، هنا تنشيط الإرادة وأمامها فرصة لتكامل مشوار الإبداع الذاتى وهى تحافظ على فاعلية النبض، بما يحفزها إلى اختيار المحيط والشريك والوعى الجمعى الذى يتيح فرصة جديدة ليستعيد النبض الحيوى فاعليته فى التطور والنمو من جديد.



أو يضع نفسه، ضمن منظومة حياة متحركة يعرفه ولو ضمنا أنها يمكن أن تضطره، مع استمرار نبض الإيقاع الحيوي بلا توقف ليل نهار، نوما وحلما وبقظة، تضطره أن يدخل إلى مأزق التغيير الذي هو فرصة التحول إلى طور أحسن، اللهم إلا إذا تعثر به الخطي، وأجهضت نبضة النمو

اضطرابه الشخصية لا يمكن إرجاعه إلى مجز أو قصور في استعمال الإرادة في دفع نبض النمو والحفاظ على اضطرابه

وأخيرا

دعونا نتوقف اليوم لنعاود الإشارة إلى تشكلات إعاقاة الإيقاع الحيوي بما يتضمنه من ترجيح إرادة الحياة والنمو والتطور، وكيف يتجلى ذلك في تشكلات اضطرابات الشخصية مع أنها قد لا تعتبر مرضا نفسا صرفا.

[1] - إذا لم أتمكن من كتابتها متكاملة في حياتي، فقد تصلح هذه الاستطرادات في جمع معالمها.

[2] - لن أتطرق لاحتمال الإيقاع الحيوي في غير الأحياء لأنه ليس من اختصاصي وأعتقد أن قوانيته

أصعب لكنني أميل إلى ترجيحه.

[3] - ملحق كتاب حيرة طبيب نفسي، "مستويات الصحة النفسية على طريق الت

[4] - مجلة فصول، المجلد الخامس-العدد الثاني- سنة 1985.

[5] - صدر أول طبعة في 1979 باسم "حكمة المجانين" [5] جاءت هذه العبارة: "دراسة في علم

السيكوباتولوجي"

[6] = "The brain rebuilds itself"

[7] - A Processor of Energy and Information

[8] - حكمة المجانين (سنة 1980) حاليا "فتح أفعال القلوب" (تحت الطبع)

*** **

شبكة العالوم النفسوية العربية

دعوة للمساهمة في التعريف بهذا المشروع العلمنفسي الأكاديمي

نأمل من الاساتذة الكرام التعريف بالشبكة في مؤسساتهم الجامعية و الاستشفائية

من خلال توزيع " اللوحة الاشهارية " التالية او ادراجها ضمن معلقات مؤسساتهم العلمية او الاستشفائية



www.arabpsynet.com/Documents/PubAPN.pdf